ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

التنافس السياسي بين الصنهاجيين والسودانيين
على منطقة الساحل الصحراوي خلال العصور الوسطى

د. المصطفى ولد يكبر

أستاذ متعاون – قسم التاريخ والحضارة

كلية الآداب – جامعة نواكشوط

الجمهورية الإسلامية الموريتانية

مُلَخّصْ

كان اختيار هذا الموضوع انطلاقًا من أهمية منطقة صحراء الملثمين في التفاعل الحضاري الذي كان قائمًا بين المغرب والسودان الغربي ذلك التفاعل الذي بدا جليًا خلال العصر الوسيط وخاصةً في فترة قيام الدولة المرابطية. أضف إلى ذلك الحضور القوي والفاعل للقبائل الصنهاجية والتي لم تحظى من البحث بما يتناسب مع دورها -حسب اعتقادنا- فالمراجع ركزت أثناء حديثها عن العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها على تاريخ المغرب من جهة والسودان الغربي من جهة أخرى. ولقد شكلت منطقة الساحل ساحة للتنافس بين المجموعتين وذلك ما يفسره تقارب العاصمتين الغانية كونبي صالح والصنهاجية اودغشت، وقد كان لوجود مادة الذهب المحرك الفعلي للعلاقات التجارية في تلك الفترة ضمن نفوذ السودانيين ووجود مادة الملح العنصر المهم في الحصول على الذهب ضمن نفوذ الصنهاجيين دور مهم في توجيه علاقات المجالين فلم تفوت إمبراطورية غانة فرصة إلا وحاولت توسيع نفوذها شمالاً على حساب المجموعة الصنهاجية، وذلك ما يتضح من خلال احتلالها لمدينة أودغست، كما أن الصنهاجيين حاولوا مرات عديدة التوغل جنوبًا وذلك ما سيتحقق لهم بعد قيام الدولة المرابطية باحتلالهم لعاصمة غانة مدينة كونبي صالح. ولقد اتفقت المصادر الوسيطية على أن زعماء الأحلاف الصنهاجية وخاصةً الحلف الأول كانوا يسيطرون على بعض مناطق السودان، وقد كان لانتشار الإسلام في المنطقة منذ بداية القرن الثاني للهجرة دور حاسم في تعزيز حضور الصنهاجيين جنوبًا، حيث حملوا لواء نشر هذا الدين خاصةً إذا علمنا أن طلائع الفتح الإسلامي توقفت على مشارف السودان. وتعتبر فترة قيام الدولة المرابطية فترة ازدهار هذه العلاقات إلا أن التوازن فيها كان لصالح الصنهاجيين.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٠ يونيو ٢٠١٥

تاريخ قبول النشر: ٢٨ يوليو ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

مملكة غانة، المرابطين، قبائل الصحراء، الأحلاف الصنهاجية، السودان الغربي

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

المصطفى ولد يكبر. "التنافس السياسي بين الصنهاجيين والسودانيين على منطقة الساحل الصحراوي خلال العصور الوسطى".- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع والعشرون؛ سبتمبر ٢٠١٥. ص ٨٥ – ٩٢.

مُقَدِّمَة

منذ أن هاجرت القبائل الصنهاجية جنوبًا تحت ضغط الرومان وهي ترتبط بالقبائل السودانية ارتباطًا وثيقًا فقد شكلت منطقة الساحل نقطة تماس بينهما، وإذا كانت فترة ما قبل التاريخ الوسيط ظلت غامضة ولا نمتلك عنها ما يكفي من المصادر لكي نتلمس المستوى الذي كانت عليه علاقات هذه الشعوب ببعضها البعض، إلا أن مرحلة التاريخ الوسيط وبداية انتشار الإسلام وما رافقه من ازدهار تجاري جعل من منطقة الصحراء والسودان مناطق جذب للتجار والدعاة والكتاب المسلمين الذين وفروا لنا كمًا هائلاً من المعلومات عن تاريخ هذه المنطقة، وإن كان بعضه يتميز بنوع من الاضطراب والتناقض أحيانًا، إلا أن الدارسين المحدثين تمكنوا من معرفة حياة هذه المجتمعات وعلاقاتها البينية من خلال مقارنة وفحص هذه المصادر.

وقد كان لوجود سلطة سياسية في السودان الغربي كإمبراطورية غانة دورًا مهمًا لمعرفة علاقة هذه الإمبراطورية بجيرانها الشماليين المصاقبين لها، كما مثلت "الأحلاف الصنهاجية"

الإطار السياسي الموازي لهذه الإمبراطورية على مستوى الصحراء وقد فرض البعد عن المغرب الأقصى وسلطاته المركزية التي قامت في فترة متقدمة من وصول الإسلام إليه على هذه القبائل وجود هذا النوع من التنظيمات لتسيير شؤون أفرادها وتنظيم تجارتها وعلاقاتها بجيرانها الجنوبيين الذين كانوا يتربصون بها بين الحين والأخر. وقد حاولت المصادر العربية وخاصةً التي كتبت ما قبل القرن الخامس الهجري أن تطلق على هذه الأحلاف اسم "مملكة انبية" تارة، و"مملكة اودغست" تارة أخرى، إلا أن الأمر لا يعدو كونها تنظيمات سياسية عشائرية توفر للصنهاجيين قدرًا من التنظيم يمكنهم من الوقوف في وجه الحراك الذي شهدته المنطقة خلال الفترة موضوع الدراسة.

أولاً: علاقات الأحلاف الصنهاجية بمملكة غانة

يسود الاعتقاد بأن علاقات الصنهاجيين بالسودان الغربي ما قبل ازدهار التجارة الصحراوية كانت مبنية على شكل من "التعايش السلمي" إذ استثنينا بعض المحاولات التي تقوم بها القبائل الصنهاجية للانزياح جنوبًا من أجل إيجاد المراعي الخصبة في مناطق السودان الرطبة هذا الانزياح الذي قد لا يعجب السودانيين المهتمين بالزراعة، إلا أن الأمر سيزداد تعقيدًا بعد ازدهار التجارة القوافلية، خاصةً بعد أن احتكر السودانيون الذهب، واحتكر الصنهاجيون الملح، وهما المادتين الأساسيتين في عملية التبادل التجاري في المنطقة، لذلك ظلت العلاقات ما بين الإمبراطورية الغانية والمجموعات الصنهاجية مبنية على التنافس للاستفادة من عائدات التجارة الصحراوية، ولعل ما يفسر ذلك التقارب الجغرافي بين العاصمة الصنهاجية "أودغست" والعاصمة الغانية "كومبي صالح"، وسعي كل منهم للسيطرة على هاتين المدينتين، وقد عبر صاحب صورة الأرض عن هذا التقارب بقوله "وملك اودغست هذا يخالط ملك غانة".[١] ولعل هذا التقارب الجغرافي ما بين العاصمتين قد أثر سلبًا على علاقات السودان بصنهاجة، فإمبراطورية غانة لم تفوت فرصة إلا وحاولت السيطرة على مدينة اودغست[٢]، والصنهاجيون سيطروا على كومبي صالح عندما آنسوا من أنفسهم قوة بعد قيام الدولة المرابطية.[٣]

ولقد مثل احتكار الصنهاجيين لمادة الملح الحجري عاملاً مهمًا، فلعبوا دورًا أساسيًا في عملية التبادل التجاري نظرًا لأهمية هذه المادة عند السودانيين "وحاجتهم إلى ملوك اودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام فإنه لا قوام لهم إلا به، وربما بلغ حمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار".[٤] وقد كان احتكار الصنهاجيين للملح يقابله احتكار السودانيين للذهب، فقد ظل ملوك غانة يحتكرون تجارة الذهب[٥] ولا يسمحون لرعيتهم ببيع القطع المتماسكة منه، وإنما رخصوا لهم بيع الدقيق والتبر، ولعل ذلك ما حافظ على استقرار أسعار الذهب مقابل أسعار الملح "وإذا وجد في جميع معادن بلاده الندرة من الذهب استنصفاها الملك وإنما يترك منها للناس هذا التبر الدقيق ولولا ذلك لكثر الذهب بأيدي الناس حتى يهون".[٦]

إن عملية احتكار الملح من طرف صنهاجة، واحتكار الذهب من طرف غانة حافظت على نوع من التوازن التجاري بين المجالين، ولعل ذلك ما زاد من نفوذ زعماء صنهاجة، فوصفتهم المصادر بالملوك حيث يطالعنا اليعقوبي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري عندما تحدث عن الحلف الصنهاجي الأول قائلاً "ثم يصير إلى بلد يقال له غسط وهو واد عامر فيه المنازل وفيه ملك لا دين له ولا شريعة يغزوا بلاد السودان وممالكهم"،[٧] ويتبعه في ذلك ابن حوقل الذي عبر عن قوته وكثرة المنضوين تحت سيطرته من صنهاجة.[٨] أما البكري فيصفه قائلاً "وكان صاحب اودغست في عشر الخمسين وثلاث مائة تينيروتان بن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة، وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكًا من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية، وكان عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة يعتد في مائة ألف نجيب".[٩]

ولعل هذه القوة التي تميز بها صاحب الحلف الصنهاجي الأول جعلته دائمًا على عداء مع جيرانه الجنوبيين، فالمصادر تفيد أنه كان يسيطر على مناطق وممالك من السودان، لكننا لا نعلم هل كان لهذه السيطرة انعكاس على عملية احتكار السودانيين للذهب، وهل كانت هذه الممالك تدفع له الجزية مقابل السيطرة عليها ذهبًا، يقول ابن أبي زرع "ملك بلاد الصحراء بأسرها ودان له بها أزيد من عشرين ملكًا من ملوك السودان يؤدون له الجزية".[١٠] وقد ذهبت المصادر في وصفها لصاحب هذا الحلف إلى أنه كان يتدخل في الخلافات الداخلية لإمبراطورية غانة، حيث كان يدعم الموالين له من الممالك التابعة للإمبراطورية، وقد بالغت المصادر في قوته وعدد جيشه، حيث أنه كان باستطاعته استنفار خمسين ألف مقاتل "فأستمده بعرين ملك ماسين على ملك اوغام فأمده بخمسين ألف نجيب فدخلت بلد اوغام وعساكره غافلة فغنمت البلد وأحرقته".[١١]

وتعطينا هذه الشهادات المصدرية معلومات مهمة عن حجم التدخل الصنهاجي في المجال السوداني، وكيف أن زعيم الحلف الأول كان من القوة بحيث يستطيع الوقوف بجانب الممالك السودانية التي تحالفت معه، لكن ما لم نستطع الوقوف عليه من خلال هذه الإشارات هو ردة الفعل الغانية اتجاه هذا التدخل أم أن الفترة الزمنية التي كان فيها زعيم الحلف الصنهاجي على هذه الدرجة من القوة كانت فيها إمبراطورية غانة تعاني من ضعف أو محاولات انفصال من طرف الممالك التابعة لسلطانها. ورغم أننا لا نستطيع أن ننفي وجود فترات ودية في علاقات غانة مع هذه الأحلاف الصنهاجية وخاصةً الحلف الأول، فإنها في الغالب الأعم كانت تتميز بالتوتر نظرًا للتقارب الجغرافي بين المجالين وحدة التنافس على عائدات التجارة الصحراوية.

وقد لجأ الصنهاجيون في بعض الأحيان وخاصةً عندما تتوسع إمبراطورية غانة على حساب مجالاتهم إلى إرباك سير التجارة القوافلية من خلال اللجوء إلى قطع الطريق على القوافل المارة من الطرق الصحراوية التي تشق مجالات هذه القبائل "ونزامين (...) وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان، وهو موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق، ويتخذونه مرصدًا لهم لعلمهم بإفضاء الطرق إليه، وحاجة الناس إلى الماء فيه".[١٢] ونحن وإن كنا نعلم أن الحلف الصنهاجي الأول ضم أغلب القبائل الصنهاجية فلا نستبعد أن تكون عمليات قطع الطريق على القوافل التي تقوم بها لمطة وجزولة منظمة من طرف فلول هذا الحلف لإرباك التجارة من أجل الضغط على غانة للحصول على أكبر قدر ممكن من العائدات الاقتصادية. الشيء نفسه كانت تقوم به بعض القبائل السودانية، فقد تحدثت المصادر عن مجموعات سودانية تغير على القوافل التجارية القادمة من الشمال "ثم تسير منه ثلاثة أيام إلى بلد يقال له افرتندي تفسيره مجتمع الماء (...) ثم تسير منه يوما في جبل يقال له ازجونان يقطع فيه السودان".[١٣]

وإذا كانت القبائل الصنهاجية التي تمارس قطع الطريق في بعض الفترات كانت تمارسها في مجالات تسيطر عليها، إلا أن المجموعات السودانية التي تحدث عنها البكري كانت تقطع الطريق في مناطق متوغلة شمالاً في مجالات الصنهاجيين، ولا نجد لذلك تفسيرًا إلا أن تكون الممالك السودانية هي المسؤولة عن إرسال مجموعات من أجل هذه المهمة فلا يمكن أن تكون هذه المنطقة التي يقطع فيها السودان تحت سيطرتهم بأي حال من الأحوال، خصوصًا في تلك الفترة التي كان فيها حضور الأحلاف الصنهاجية قويًا، فجبل ازجونان هذا يبعد مسيرة أربعة أيام شمال اودغست "في جبل يقال له ازجونان يقطع فيه السودان ثم تمشي يومًا في رمال شجرة إلى ماء يقال له بيرواران ماؤها زعاق ثم تمشي في أرض لصنهاجة كثير الماء من الآبار ثلاثة أيام ثم تسير منه إلى شرف عال تشرف منه على اودغست".[١٤]

لقد استطاع الصنهاجيون خلال حلفهم الأول الذي امتد منذ ولاية تيولتان بن تلاكاكين المتوفى ٢٢٢ هـ حسب رواية ابن أبي زرع[١٥] إلى ربط علاقات سياسية بالإمبراطورية الغانية تغيرت طبيعتها حسب الظروف، وتحكمت فيها المنافسة التجارية بينهما وكانت تتميز بالمواجهة أحيانًا، وتتخللها فترات من الود، وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية هذا الحلف الأول، والذي انتهى بعد حكم تميم ابن الأثير الذي قتل على يد بعض القبائل الصنهاجية التي ثارت عليه لأسباب مازالت مجهولة.[١٦] لكن سقوط هذا الحلف والذي يرجعه البعض إلى خلافات داخلية بين القبائل الصنهاجية المكونة له، إلا أننا لا نستبعد أن وجود أسباب خارجية كانت مساعدة أو لنقل كانت فاعلة بقوة في انفضاض هذا التحالف الذي أمضى حوالي قرن من الزمن، ومن بين هذه الأسباب التحالف الغاني الزناتي الذي إلتقت فيه مصالح الطرفين في القضاء على سيطرة الصنهاجيين على مسالك وطرق التجارة القوافلية.

١/١- التحالف الغاني الزناتي ضد الحلف الصنهاجي الأول:

الخلاف بين الزناتيين والصنهاجيين قديم قدم تقاسم القبيلتين لمجالات متعددة من الغرب الإسلامي، ولقد كانت إفريقية مجالاً للصراع بين هاتين القبيلتين، وخاصةً أثناء حكم آل زيري الصنهاجيين في إفريقية، لذلك حاول الزناتيون الانتقام من أبناء عمومة آل زيري من صنهاجة اللثام بتوجيه قوة عسكرية لإخضاعهم أو كسر احتكارهم لعائدات التجارة القوافلية على الأقل.[١٧]

وقد سجل لنا ابن حوقل إحدى هذه المحاولات التي قام بها الزناتيون ضد الحلف الصنهاجي الأول "... وحدثني أيضًا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الله أن قبيلة من قبائل البربر قصدت ناحية اودغست للإيقاع بآل تنبروتان في جمع كثيف وعدة قوية وعدة عظيمة تلتمس غرة وتتهل فرصة عن طوائل حدثت مع بعض صنهاجة، وبلغ ذلك تنبروتان ملكهم هذا وأوعيد عليه ذكرهم وحالهم ومقصدهم في طريقهم دفعات فلم يعد جوابًا فيه"[١٨] وقد استخدم زعيم الحلف الصنهاجي خطة في مواجهة الجيش الزناتي يبدو أنها قضت على آمالهم في السيطرة بالقوة على صنهاجة اللثام "... ودعا برعاة كانوا لأخته، وكانت أيسر أهل قبيلتها، وأكثرهم مالا من حيث لا يعلم احد وقال لهم (...) بنو فلان يريدون ناحيتكم ليلة كذا وكذا فإذا كان في سحرة تلك الليلة فاعتمدوا هيج الإبل هناك بأجمعها على الشرف الفلاني ونفارها على القوم (...) ونفر الرعاة الإبل فصوبت على المكان والجيش الذي به فأتت على جميع من كان منهم مع إبلهم وسلاحهم دوسًا لهم ووطئا عليهم (...) حتى جعلوه شذر مدر".[١٩]

ويبدو بعد هذه الواقعة أن الزناتيين تخلوا عن الحل العسكري ولجئوا إلى التسرب سلميًا إلى العاصمة الصنهاجية اودغست وإلى العاصمة الغانية كومبي صالح بوصفهم تجارًا حتى كونوا جاليات كبيرة تحالفت مع الغانيين من اجل إنهاء سيطرة صنهاجة على مدينة اودغست التي سقطت في يد الغانيين في القرن الرابع الهجري، وسمحت غانة للزناتيين بممارسة التجارة في هذه المدينة الحيوية مقابل تبعيتهم السياسية لها.[٢٠]

ويبدو أن صنهاجة الذين ذكر ابن حوقل والمهلبي أنهم كانوا يمثلون أغلبية سكان مدينة اودغست في بداية القرن الرابع الهجري قد تقلص وجودهم في هذه المدينة أو كاد يختفي بعد ذلك بفترة ليست بالطويلة، أي في النصف الثاني من القرن الرابع حيث ذكرت بعض المصادر في القرن الخامس سكانًا جددًا للمدينة لم نجد بينهم ذكرا لصنهاجة و"كان يسكن هذه المدينة زناته مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين"[٢١] ولعل هذه الإشارة تفيد؛ أن الزناتيين هم مَنْ كان يسكن اودغست منذ أن سقطت في يد الغانيين، وكانوا هم القائمين على تسيير التجارة بها وهناك ملاحظة يجب الوقوف

عندها وهي التنافر والتباغض الذي ذكره البكري بين الزناتيين والعرب داخل اودغست، والذي نفترض انه كان بفعل التنافس الاقتصادي بين المجموعتين بيد أننا لا نستبعد حضور العامل المذهبي في الجفاء الذي عبرت عنه هذه المصادر بين سكان المدينة، فمن المعلوم أن مجموعات من العرب قدمت إلى المنطقة منذ فترة مبكرة من ازدهار التجارة القوافلية، وكانت اودغست احد أهم المدن التي استقطبت هؤلاء التجار، وكان ذلك في فترة الحلف الصنهاجي الأول، ويبدو أن التعايش كان سلميًا بين هؤلاء التجار والسلطة الصنهاجية التي كانت متحكمة في اودغست، إذ لا نجد في المصادر ما يشير إلى عكس ذلك في هذه الفترة على الأقل، ونفسر ذلك بحضور العامل المذهبي فأغلب التجار العرب الذين استوطنوا اودغست قدموا من فضاءات "سنية" ونعتقد أن ذلك كان سببًا في خلافهم مع المجموعات الزناتية التي سكنت المدينة بعد فقدان الصنهاجيين للسيطرة عليها، والمدعومين من طرف الإمبراطورية الغانية والذين تذهب المصادر إلى أنهم كانوا يعتنقون مذهب الخوارج.

ويبدو أن المدينة قد عرفت ازدهارًا تجاريًا كبيرًا أثناء السيطرة الغانية الزناتية،[٢٢] ونعتقد أنه في هذه الفترة بالذات لجأ الصنهاجيون إلى استخدام وسيلة قطع الطريق على القوافل من أجل إرباك هذا الازدهار الذي شهدته المنطقة.[٢٣] ففي هذه الفترة كانت القبائل الصنهاجية تفتقر لأي نوع من التنظيم في غياب أي مشيخة قبلية جامعة أو ما يعرف بالحلف، ذلك أنه بعد وفاة تميم ابن الأثير ٣٠٦ هـ انفض الحلف الصنهاجي لمدة مائة وعشرين سنة "... فقتلوه وافترق أمرهم (...) مدة من مائة وعشرين سنة".[٢٤] ولم تكن نهاية هذا الحلف بداية لشغور سياسي سيعاني منه الصنهاجيون فحسب وإنما أثرت أيضًا على حضورهم الاقتصادي المتمثل في ما كانوا يجنونه من السيطرة على طرق ومدن التجارة القوافلية في الصحراء، بالإضافة إلى خسارتهم لأغلب مناطق الساحل الذي يوفر مناخًا ملائمًا لرعي مواشيهم، وممارسة بعض أنواع الزراعة كزراعة النخيل مثلاً، فقد تمكنت الإمبراطورية الغانية من الضغط عليهم حتى توغلوا في الصحراء شمالاً ونظرًا لشح مصادر العيش في هذه المنطقة بالذات فقد عاد الصنهاجيون إلى حروبهم البينية السابقة للحلف الأول، حيث احتدم التنافس بينهم على مناطق الرعي مما وأد كل محاولة من أجل التوحد في حلف جديد يضمن لهم مصالحهم الاقتصادية وحضورهم السياسي في المنطقة.

لذلك فقد كانت هذه الفترة فترة ازدهار للإمبراطورية الغانية فتوسعت شمالاً على حساب المجموعات الصنهاجية، إلا أن محاولة احد شيوخ صنهاجة لإحياء نظام الأحلاف سوف تنجح بعد قرن ونيف ليتمكن أبو عبد الله محمد ابن تيفاوت اللمتوني من توحيد القبائل الصنهاجية لأول مرة بعد سقوط حلفهم الأول، وإنشاء ما عرف "بالحلف الصنهاجي الثاني"، ولا شك في أن أول عمل سيقوم به ابن تيفاوت هو محاولته لإعادة السيطرة على مدينة اودغست، وقد اختلف حلف ابن تيفاوت عن سابقه حيث أن الأسس التي أنبنى عليها تختلف عن الأسس التي قام عليها الحلف الصنهاجي الأول.[٢٥]

فمن المعلوم أن الحلف الصنهاجي الأول قام على أساس العصبية الصنهاجية وبدافع اقتصادي، فكانت علاقته بالجار الجنوبي مبنية على التنافس من أجل الاستئثار بعائدات التجارة الصحراوية، إلا أن الحلف الجديد قد غير الأسس التي كانت تربط صنهاجة ببعضها البعض، إذ أصبح الدين الإسلامي هو الطابع العام الذي يحدد العلاقة بين هذه القبائل، كما أن علاقاتهم بالإمبراطورية الغانية أصبحت مبنية على الجهاد من أجل نشر الدين الإسلامي، وذلك ما تريد لنا المصادر أن نفهمه "وهم على السنة مجاهدون للسودان".[٢٦]

ونعتقد أن هذا العامل الجديد الذي أصبح يوجه الصنهاجيين نحو جيرانهم الجنوبيين هو ما ساعدهم في التغلب على الفرقة التي عصفت بهم منذ نهاية حلفهم الأول، فيبدو أن العصبية والدافع الاقتصادي عجزا عن توحيد الصنهاجيين مرة أخرى تحت راية واحدة لذلك استطاع قائدهم الجديد الذي وصفته المصادر بأنه "... من أهل الفضل والدين والحج والجهاد"[٢٧] أن يلم شتاتهم ويوجه قوتهم نحو الجنوب ليس من أجل السيطرة على الطرق التجارية والمدن الحيوية فحسب، وإنما أيضًا من أجل نشر الدين الإسلامي في هذه الربوع الوثنية.

إلا أن فترة ابن تيفاوت لم تدم طويلاً حيث توفي سنة ٤٢٦ هـ ولم يدم حكمه سوى ثلاث سنوات، إلا أنه وبالرجوع إلى مكان وفاته يتضح لنا أنه قطع أشواطًا مهمة في التوغل جنوبًا حيث أنه "هلك بموضع يقال له قنقارة من بلاد السودان".[٢٨] بعد وفاة محمد بن تيفاوت تولى بعده صهره يحي ابن إبراهيم لكدالي الذي سوف تشهد الصحراء في فترته معطى جديدًا سوف يقلب الموازين لصالح المجموعات الصنهاجية، حيث سيؤسس هذا الزعيم رفقة الفقيه عبد الله ابن ياسين ما سيعرف بالدولة المرابطية التي كانت السيطرة على غانة من أولى أولوياتها، فدخلت معها مبكرًا في حروب كثيرة أعادت بها اودغست، ثم تطورت العلاقات العدائية بينهما حتى استطاع المرابطون أن يسقطوا العاصمة الغانية ليضعوا بذلك حدًا لأقوى إمبراطوريات السودان الغربي.

ثانيًا: علاقة المرابطين بمملكة غانة

لا يخفى على المتتبع لتحركات الصنهاجيين منذ قيام حلفهم الأول في مدينة اودغست سعيهم الحثيث للسيطرة على مجالات السودانيين في الجنوب، سواء فسر ذلك برغبة الصنهاجيين بنشر الإسلام، أو بسعيهم إلى السيطرة الاقتصادية على المناطق السودانية الغنية بالذهب لذلك فإن الاهتمام بالجنوب ظل من أولى أولويات زعماء صنهاجة الصحراء بدءًا من تيلوتان بن تلكاكين[٢٩] وانتهاءً بمحمد بن تيفاوت[٣٠] إلا أن ذلك الاهتمام

سيشهد توقفًا أثناء المخاض العسير الذي مر به قيام الحركة المرابطية بالصحراء، فأثناء رحلة حج الأمير يحي ابن إبراهيم لا تذكر المصادر أي شيء عن وضع الصحراء من بعده سوى أنه ترك أخوه على زعامة قومه، فلا يمكننا في هذه الفترة أن نتحدث عن علاقات من أي نوع بين الصنهاجيين والغانيين، كما أن فترة رجوع ابن إبراهيم والفقيه ابن ياسين لم تشهد أيضًا أي نوع من الاحتكاك بينهما، حيث اهتما بمرحلة تأسيس الحركة المرابطية، ونظرًا لتفرق أمر صنهاجة في تلك الفترة بين مؤيد لابن ياسين ومعارض له، بالإضافة إلى لجوء الأخير إلى رباط منعزل في مصب نهر السينغال من أجل تنظيم صفوف أتباعه كلها عوامل أبعدت الصنهاجيين عن جيرانهم الجنوبيين، ونلفت الانتباه إلى أن هذه الفترة شهدت فيها غانة ازدهارًا كبيرًا خاصةً إذا علمنا أنها تسيطر على مدينة اودغست الإستراتيجية.

بعد أن نظم ابن ياسين أتباعه سارع إلى بسط السيطرة على قبائل الصحراء الأمر الذي تحقق له في فترة قياسية، وما إن تم له ذلك حتى وجد نفسه أمام خيارين الأول يتماشى مع تطلعات الصنهاجيين، وهو السيطرة على اودغست وإنهاء نفوذ غانة على منطقة الساحل، والخيار الثاني . والذي يذهب البعض إلى أنه كان الخيار الأقرب عند ابن ياسين . هو التوجه شمالاً للقضاء على الجيوب "البدعية" في المغرب، لكن ابن ياسين لم يجد بدًا من مسايرة تطلعات الصنهاجيين في البداية فتوجه إلى الجنوب وتمكن من إسقاط اودغست وانتزاعها من يد الغانيين لكن تلك المسايرة لم تدم طويلاً فسرعان ما توجه إلى الشمال. إلا أن اهتمام بالجنوب سيظهر بشكل واضح بعد عودة الأمير أبو بكر ابن عمر إلى الصحراء بعدما بلغه نبأ اختلال أمرها وتمرد قبائلها، بعد أن استخلف ابن عمه يوسف ابن تاشفين على المغرب.

عاد الأمير أبو بكر إلى الصحراء برفقة نصف جيش المرابطين رغم أن عودته هذه كان الدافع لها بالأساس هو ثورة لكداليين، إلا أنه كانت لديه رغبة في مواصلة الجهاد في بلاد السودان[٣١]، لذلك لم يتأخر في عودته إلى الصحراء بعد وصول هذه الأنباء إليه وهو في غمرة انتصاراته في المغرب لأنه يعلم جيدًا أن أي اختلال في أمر قبائل الصحراء سيؤدي إلى عدة نتائج أهمها: فصل الصحراء - المكان الأصلي للحركة- عن الدولة التي هي في طور التشكل، وما يمثله ذلك من خطورة على الحركة المرابطية الناشئة، كما أن أي انقلاب في الخريطة السياسية في الصحراء يعني بالطبع سيطرة لكداليين -مصدر الإزعاج القديم للأحلاف الصنهاجية- على الصحراء، وهو ما قد يؤدي بهم إلى التفكير في الاستقلال، هذا بالإضافة إلى أن الاضطراب في الصحراء يعني انقطاع المدد البشري، وذلك ما سينعكس على الجيوش المرابطية في الشمال.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن ابن عمر كان يعرف جيدًا أثناء عودته إلى الصحراء أنه لا قبل له بحسم الموقف لصالحه، وبالتالي فعودته إلى الصحراء إنما كانت بهدف الدفاع عن لمتونة في وجه اكدالة،[٣٢] لكن هذا الرأي لا يستقيم أمام ما لدينا من معطيات تفيد بتفوق اللمتونيين العددي على كدالة بالإضافة إلى قوتهم وسعة المجال الذي يسيطرون عليه، كما أن توجه أبو بكر إلى الجهاد في السودان بعد رجوعه إلى الصحراء دليل على أن اختلال أمر الصحراء انتهى بعد وصول القائد اللمتوني إلى مضارب قومهم، خاصةً إذا علمنا أنه محاط بنصف جيشه يقول ابن أبي زرع "... وسار أبو بكر بن عمر إلى الصحراء فهدنها، وسكن أحوالها وجمع جيوشًا كثيرة وخرج إلى غزو بلاد السودان،[٣٣] فيبدو من رواية صاحب القرطاس أن إعادة الأمور إلى نصابها في الصحراء لم تأخذ من الأمير اللمتوني وقتًا طويلاً، وذلك بدليل توجهه إلى بلاد السودان "فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر"[٣٤].

وإذا قارنا ما جاء لدى صاحب القرطاس مع ما جاء لدى البكري نجد اختلافًا في الروايتين، فابن أبي زرع يفيد أن أبا بكر لما أعاد أمر الصحراء إلى طبيعته، بدأ بفتح بلاد السودان حتى أتته الأخبار عن استفحال أمر يوسف بالمغرب "أقبل إليه من الصحراء ليعزله ويولي غيره"،[٣٥] وهذا ما نفهم منه أن الأمر في الصحراء مستتب لأبي بكر فلو كان الأمر غير ذلك لما فكر في أن يعود إلى المغرب ليعزل ابن عمه يوسف عند ما علم باستفحال أمره، وهذا ما يتناقض مع ما جاء على لسان البكري من عودة اختلال أمر الصحراء وافتراق كلمة صنهاجة في التاريخ نفسه تقريبًا "وأمير المرابطين إلى اليوم وذلك سنة ستين وأربع مائة أبو بكر بن عمر وأمرهم منتشر غير ملتئم".[٣٦] إلا أن التسلسل والوضوح لدى ابن أبي زرع يجعلنا نرجح روايته على البكري، إلا أن ما جاء على لسان صاحب القرطاس خلال حديثه عن فتح المرابطين للسودان يستوجب منا بعض التوضيح.

فمنذ الاستيلاء على مدينة اوداغست من طرف المرابطين سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٥٥م)[٣٧] . والذي لم يستغله ابن ياسين أحسن استغلال[٣٨]. أصبحت من جديد مكان استقرار للصنهاجيين، وإن كنا لا نعلم شيئًا عن وضع المدينة أثناء توجه ابن ياسين إلى الشمال، إلا أن البعض يرى أن أبا بكر توجه إليها أثناء عودته الأولى إلى الصحراء، ونحن نرجح السير في هذا الاتجاه إلا أن استقرار أبي بكر في اوداغست أثناء عودته إلى الصحراء[٣٩] لم يأتي إلا بعد أن عادت كدالة للهدوء، فلو لم يكن الأمر كذلك لما توجه إليها بحكم بعدها الجغرافي عن مضارب لكداليين، لكن استقراره في اودغست سيمكنه بلا شك من الوجود على مشارف بلاد السودان، ومن الواضح أن الزحف المرابطي نحو الجنوب كان باتجاه مجالات مملكة غانة وإن كان البعض يشكك في غزو المرابطين لها،[٤٠] إلا أن أغلب المصادر تفيد أن المرابطين غزوها وسيطروا على عاصمتها "كومبي صالح"، ونشروا الإسلام فيها إلا أن ابن أبي زرع بالغ كثيرًا حين وصف المناطق التي سيطر عليها المرابطين بمسيرة ثلاثة أشهر، فإذا حكمنا أن الانطلاقة الجديدة نحو بلاد السودان كانت من مدينة اودغست فإن السيطرة على المسافة التي ذكرها صاحب

القرطاس تعني أن المرابطين وصلوا إلى أدغال إفريقيا وذلك ما لا يمكننا الجزم به.

بعد ذلك سيتوقف التوغل المرابطي نحو الجنوب بسبب عودة الأمير أبو بكر إلى المغرب سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) تلك العودة التي ستنتهي بسرعة عندما قرر ابن عمر العودة إلى الصحراء نهائيًا بعد توليته ليوسف على المرابطين في المغرب. جعل أبو بكر ابن عمر الجهاد ضد السودان من أوكد همه بعد عودته الأخيرة إلى الصحراء، إلا أننا سنجد أنفسنا في صمت رهيب لدى أصحاب مصادرنا عن تحركات ابن عمر نحو الجنوب، وذلك يعود في نظر الدارسين إلى أن المصادر اهتمت اهتمامًا كبيرًا بتسجيل انتصارات يوسف ابن تاشفين في المغرب والأندلس[٤١]، وإن كانت هناك إشارات إلى حملات قادها أبو بكر وابنه في بلاد السودان، وبالتحديد باتجاه غانة التي من المفترض أن عاصمتها سقطت على أيديهم سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م).[٤٢]

المهم أن مسيرة أبو بكر وجهاده في السودان أثناء عودته الأخيرة إلى الصحراء يلفها كثير من الغموض لعدم وجود مصادر تتحدث عن المنطقة في تلك الفترة بالذات، إلا أنه ومما لا شك فيه أن الحدود المرابطية امتدت إلى مناطق بعيدة داخل أرض السودان، بسبب الحملات العسكرية التي قام بها ابن عمر وأحفاده في الجنوب. إلا أن وفاة أبي بكر والتي من المرجح أنها سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٨م)[٤٣] شكلت نهاية لحيوية الجناح الصحراوي للدولة المرابطية، إلا أن تلك المناطق سواء الصحراوية منها أو السودانية ظلت تحت نفوذ المرابطين حتى سقوط دولتهم.

ثالثا: علاقات الصحراء بالسودان الغربي ما بعد سقوط المرابطين

لقد ظلت علاقات الصنهاجيين بالسودانيين تتناسب مع مدى قوة هذه القبائل وحضورها السياسي في المنطقة، وإذا كانت العلاقات بين المجالين في فترة الأحلاف الصنهاجية وفترة قيام الدولة المرابطية واضحة من خلال الإشارات المصدرية واهتمام الكتاب والمؤرخين بالمنطقة، إلا أن علاقاتهما ما بعد سقوط المرابطين يلفها كثير من الغموض وذلك راجع إلى تراجع دور صنهاجة خاصةً بعد سيطرة الموحدين على أغلب مجالات الدولة المرابطية بما في ذلك الصحراء.

ورغم أن السودان الغربي قد ازدهر بشكل كبير في هذه الفترة بالذات حيث شهد قيام أقوى إمبراطورياته وهي "مالي"، إلا أننا لا نجد في المصادر أي إشارة ذات أهمية إلى علاقات هذه الإمبراطوريتين بالقبائل الصنهاجية المنتشرة إلى الشمال من حدودهما، إذا استثنينا المنطقة الشرقية من صحراء الملثمين والتي كانت تقطنها قبيلة مسوفة والتي ستربطها علاقات بهذه الإمبراطوريات وخاصة فرعها المعروف بالطوارق. ونحن نعتقد أن ازدهار إمبراطورية مالي والعلاقات الوطيدة التي ربطتها مع كل من الموحدين والميرينيين في المغرب ساهم بشكل كبير في تجاوز القبائل الصنهاجية المنتشرة في الصحراء بعد أن فقدت حضورها السياسي بعد سقوط المرابطين، وكانت علاقاتها بالممالك السودانية تدخل ضمن إطار علاقات هذه الأخيرة بالسلطة المركزية في المغرب.

فإذا عدنا إلى الصحراء ما بعد سقوط المرابطين نجد إشارات طفيفة عن مستقبل هذه القبائل سياسيا، فقد أدت وفاة أبي بكر ابن عمر إلى افتراق شمل هذه القبائل وانقسامها إلى إمارات صغير،[٤٤] وفي مناطق متوغلة في الصحراء بعيدة عن المناطق التي من المفترض أنها كانت تابعة للممالك السودانية هذا بالإضافة إلى اختلال أمر الطرق التجارية التي كانت تشق الصحراء. فالطريق الساحلي الذي يمر على مضارب لكداليين قد انتهى أو على الأقل فقد كثيرًا من حيويته، ونعتقد أن قبيلة "انيرزك" قد سيطرت عليه بحكم الموقع الذي أشارت المراجع إليه.[٤٥] كما أن الطريق الغربي أو الطريق اللمتوني والذي أصبح تحت سيطرة قبيلة ايديشلي والتي تعتبر جزءًا من قبيلة لمتونة فقد هو الآخر حضوره وفي المقابل ازدهر الطريق الشرقي الذي يمر من مجالات مسوفة، والذي نعتقد أن نهاياته جنوبًا كانت تحت سيطرة الماليين نظرًا لقربه من مجالاتهم، ولتوفر تلك المنطقة على أهم وأكبر مناجم الملح لوجود مملحة تغازا بها، أما الأنباط الذين سيطروا على منطقة تكانت فإن منطقتهم كانت معزولة وهامشية ولا تمر بها أي من الطرق التجارية المعهودة، كما أنها في منطقة جبلية وعرة مما قد يكون ساهم في عزلتها عن الشمال والجنوب.

أما ابدوكل فقد كانت مضاربهم في شمال الصحراء ونتيجة لقربهم من السلطة المركزية للموحدين نعتقد أنهم لم يستطيعوا ممارسة أي نشاط يخول لهم ربط علاقات بالمجال السوداني، أما المجال الترابي الذي يشمل مابين محيط ولاتة شرقًا إلى الساحل الأطلسي غربًا فكان عمليًا تحت نفوذ مملكة مالي القوية.[٤٦] وهناك ملاحظة مهمة ينبغي التنبيه إليها وهي أن هذه الفترة تميزت بسيطرة الإسلام بشكل مطلق على المنطقة، فالممالك السودانية التي قامت كانت تتخذ من الإسلام دينًا رسميًا لها مما جعل المجموعات الصنهاجية التي توغلت جنوبًا لم تكن هذه المرة بهدف نشر الإسلام في هذه المناطق، وإنما من أجل التعلم والتعليم وخاصة المجموعات التي سكنت مدن السودان الغربي في تلك الفترة كتنبكتو وولاتة مثلاً، فالمتتبع للوجود الصنهاجي في هذه المدن يلاحظ بجلاء الحضور العلمي للصنهاجيين، فالإمامة والقضاء كانت من نصيب أسر صنهاجية معروفة كأسرة آل أقيت على سبيل المثال.

وبالعودة إلى العلاقات السياسية، فإننا نلاحظ سيطرة مملكة مالي على بعض المدن التي أسسها الطوارق في الجنوب الشرقي لمنطقة الساحل الصحراوي، مما أدى إلى تراجع نفوذهم إلى حدود "تادمكة" شرقًا وشمالاً، وقد عينت الإمبراطورية المالية أمراء على هذه المناطق كانوا يسمون "بالفوربا"،[٤٧] أو "الفومانا" ومعناها في لغتهم نائب الملك،[٤٨] لكن الملاحظ أن ملوك مالي قد أصبحوا منذ آخر عهدهم على الأقل يولون على السكان حكامًا منهم مثل

"محمدن الله" الذي كان حاكمًا لتنبكتو من قبل سلطان مالي قبل أن يستعيد طوارق مقشرن السيطرة عليها.[٤٩]

ويبدو أن الاحتكاك في هذه الفترة بالذات مع الممالك السودانية قد اقتصر على مسوفة في الشرق بعد توغل المجموعات الصنهاجية الأخرى شمالاً، حيث أن مسوفة انتشرت فروعها في منطقة السودان والساحل الصحراوي وانشغلوا بهموم التجارة على المحور الشرقي، كما كانوا يشكلون أغلبية سكان مدن الساحل إن لم يكونوا مؤسسيها الفعلين، وقد عظم دور المسوفيين في هذه المرحلة حتى صاروا هم مَنْ يتحكم فعليًا في هذه المدن التي تتبع سياسيًا في الغالب الأعم لسلطان مالي. إلا أن مجموعة الطوارق وهي فرع من قبائل مسوفة ظلت على عداء مستمر مع الإمبراطورية المالية والسونغاي من بعدها حيث حاولت هذه المجموعة مرات عديدة السيطرة على مدينة تنبكتو الحيوية التي يعتبرون أنهم هم مَنْ أسسها،[٥٠] لكنها سقطت في يد الماليين منذ بداية تأسيس إمبراطوريتهم.

ومن بين الحملات التي قامت بها إمبراطورية مالي نحو الشمال من أجل إخضاع الطوارق ومن في ناحيتهم من الصنهاجيين نجد الحملة التي قام بها القائد المالي ساكوره الذي تمكن من إخضاع الطوارق ومد سلطان مالي على مجالات صحراوية، ولعل ذلك كان السبب المباشر في اغتيال الطوارق له أثناء عودته من الحج في منطقة تاجوراء.[٥١] وقد واصل حكام مالي بعد ذلك محاولاتهم لإخضاع مسوفة لسيطرتهم ويبدو أن فترة المنسا موسى والمنسا سليمان كانت فترة وئام بين المجموعتين، فقد ذكر ابن بطوطة أنه عندما وصل إلى ولاتة شاهد نائب ملك مالي على ولاتة يخاطب التجار ووراءه كبراء مسوفة،[٥٢] مما يعني أنهم كانوا مشركين في تسيير المدينة التابعة لسلطة الماليين، وقد لا تختلف وضعية المسوفيين في ولاتة مع وضعية الطوارق في تنبكتو خلال هذه الفترة على الأقل.

خاتمة

ومجمل القول؛ فإن علاقات السودان بالصحراء في هذه الفترة كانت محصورة في المنطقة الشرقية من مضارب الملثمين وبالتحديد بين المسوفيين والسودان، وذلك يعود في الأساس لأسباب عديدة أهمها أن بقايا اللمتونيين ولكدليين قد انتظموا في مشيخات قبلية محدودة التأثير خاصةً بعد توغلهم في الصحراء شمالاً.

الهَوامِشُ:

(١) ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي): "**صورة الأرض**"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢ ص: ٩٨.

(٢) احتلت هذه المدينة مكانة مهمة لدى السودانيين من جهة والصنهاجيين من جهة أخرى، وكانت السيطرة عليهما متبادلة بينهما فعندما تزداد قوة غانة تبدأ بالسيطرة على المدينة وإبعاد الصنهاجيين عنها، وعندما تنتظم هذه القبائل وتتوحد تبدأ في محاولة استعادة سيطرتها، ولعل هذه الأهمية هي التي جعلت بعض الباحثين يعتبر اودغست عاصمة للضفة الجنوبية للصحراء، أي أنها حسب اعتقادنا تعتبر عاصمة الساحل الصحراوي والسيطرة عليها من طرف أي قوة تعتبر مؤشرًا على الازدهار، وفقدان السيطرة عليها يعني عكس ذلك.- انظر: ناعمي مصطفى: "**الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية**"، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨م، ص: ٣١ / الناني ولد الحسين: "**صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي**"، أطروحة دكتوراه، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص: ٣٢٧ / دندش: "**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا مع نشر وتحقيق رسائل ابي بكر بن العربي**"، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى بيروت، ١٩٨٨، ص: ٥٠. زليخا بنرمضان: "**أودغست: دراسة منوغرافية لمركز تجاري في الجزء الجنوبي من مغرب العصور الوسطى**"، مجلة بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد التاسع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ص: ٦٥.

(٣) البكري: "**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**"، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، المطبعة الحكومية، الجزائر، ١٨٥٧، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص: ١٦٨.

(٤) ابن حوقل: مصدر سابق، ص: ٩٨.

(5) J. DEVISSE: "*In Tegdaaoust I Recherche sur Awdaghost*", A.M.G , Paris, 1970, p : 115

(٦) البكري: مصدر سابق، ص: ١٧٦ . ١٧٧.

(٧) اليعقوبي (أحمد أبي يعقوب إبن واضح): "**كتاب البلدان**"، دار الطتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ ، ص: ١٩٩.

(٨) **صورة الأرض**: مصدر سابق، ص: ٩٧.

(٩) **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**: مصدر سابق، ص: ١٥٩.

(١٠) ابن أبي زرع الفاسي (علي ابن محمد): "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**"، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، ص: ١٢٠.

(١١) البكري: مصدر سابق، ص: ١٥٩.

(١٢) نفسه، ص: ١٥٧.

(١٣) نفس المصدر نفس الصفحة.

(١٤) نفسه، ص: ١٥٧.

(١٥) القرطاس: مصدر سابق، ص: ١٢٠.

(١٦) حماه الله ولد السالم: "**تاريخ موريتانيا العناصر الإسلامية**"، منشورات الزمن، العدد ٩، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ٢٠٠٧ ، ص: ٤١.

(١٧) ماجدة كريمي: "**تجارة القوافل**"، دار نشر الجسور، وجدة ١٩٩٦، ص: ٢٧.

(١٨) **صورة الأرض**: مصدر سابق، ص: ٩٧.

(١٩) نفسه: ص: ٩٨.

(20) J. DEVISSE: in Tegdaoust, op, cit, p: 122.

(٢١) البكري: مصدر سابق، ص: ١٦٨.

(22) J. DEVISSE. Op.cit. p : 128.

(٢٣) البكري: مصدر سابق، ص: ١٥٧.

(٢٤) ابن ابي زرع: مصدر سابق، ص: ١٢١.

(٢٥) الناني ولد الحسين: مرجع سابق، ص: ٥٠٤.

(٢٦) البكري: مصدر سابق، ص: ١٦٤.

(٢٧) نفسه.

(٢٨) نفسه.

(٢٩) ابن ابي زرع: مصدر سابق، ص: ١٢٠.

(٣٠) نفسه: ص: ١٥٣.

(31) J. CUOQ:." Histoire de l'Islamisation de l'Afrique de l'Ouest des origines jusqu' a la fin du XVIe siècle", Librairie Orientaliste, Paul Guethner, SA, Paris 1984 p : 41.

(٣٢) أحمد الشكري: **"الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي"**، المجتمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٩٩ ص: ٥٩.

(٣٣) القرطاس: مصدر سابق، ص: ١٧١.

(٣٤) نفسه.

(٣٥) نفسه.

(٣٦) **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**: مصدر سابق، ص: ١٧٠.

(٣٧) نفسه: ص: ١٦٨.

(38) J. CUOQ: Histoire de l'islamisation..., op. cit. p: 40.

(٣٩) دندش: مرجع سابق، ص: ١٠١.

(٤٠) أحمد الشكري: **"مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية"**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ١٩٩٧، مرجع سابق، ص: ٥٨.

(٤١) دندش: مرجع سابق، ص: ١١٢.

(٤٢) مجهول: **"الحلل الموشية في الأخبار المراكشية"**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ١٩٧٩، ص: ٧.

(٤٣) **الحلل الموشية**، مصدر سابق، ص: ١٦، ابن عذاري، **"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٨م مج ٤، ص: ٢٦، ابن ابي زرع، مصدر سابق، ص:١٨١، ابن خلدون **"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الأكبر"**، ضبط ومراجعة الأستاذين خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠١ مج ٦، ص: ٣٧٧ الناصري، **"كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"**، ج ٢ تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار، البيضاء ١٩٥٤ مج ٢، ص: ٢٤، حسن أحمد محمود، **"قيام دولة المرابطين"**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧ ص: ٢٢٥، دندش، مرجع سابق، ص: ٣٦ وغيرهم.

(٤٤) البكري: مصدر سابق، ص: ١٧٠

(٤٥) الخليل النحوي: **"بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاظر)**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧. مرجع سابق، ص: ٢١/ حماه الله ولد السالم، مرجع سابق، ص: ٧٦.

(٤٦) حماه الله ولد السالم، مرجع سابق، ص: ٧٧.

(٤٧) ابن بطوطة، **"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، الشركة العالمية للكتاب الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩١، ص: ٢٩٨.

(٤٨) السعدي: (عبد الرحمن ابن عبد الله ابن عمران ابن عامر): **"تاريخ السودان"**، وقف على طبع السيد هوداس، باريز ١٩٨١، ص: ٢٢.

(٤٩) حماه الله ولد السالم: مرجع سابق، ص: ٩٧.

(٥٠) السعدي: مصدر سابق، ص: ٢٢.

(٥١) ابن خلدون: مج ٦، مصدر سابق، ص: ٢٦٧.

(٥٢) تحفة النظار: مصدر سابق، ص: ٢٩٨.